الأدب والمرأة

منال محمد يوسف

في عيد المرأة نكتبُ عن علاقة «عشتار الحبِّ والجمال مع الأدب» وكيف يسمو إذ كُتب بأقلام أنثويّة تعرف كيف تترجم الجمال الخلّاق وتسطّره بين الصفحات، فالمرأة قد تمثلت أيقونة الجمال المثلى وقد تُمثل وتصيغُ الكثير من جماليته العظمى.

وقد تسمو حقيقة الأدب إذا ما كُتب «بأقلام أنثويّة» تُمثّل الكثير من روح الجمال بكلّ مقوماته ومكوّناته.

قد تسمو بما تنجز وبما تُسطر من منجزات تُسجل في سجل التاريخ وهذا ما يجعلنا نذكر دور المرأة خلال الأزمة السوريّة، فقد رأيناها على جميع الجبهات تُسجل أروع الملاحم وتخط بصمات خالدة لا تُنسى، وتكتب بمحبرتها خير ما يمكن أن يُكتب بالفعل.

وكيف يُكتبُ الأدب بمحبرةِ «المرأة السوريّة»، المرأة التي عشقت حروفها وأشعاره فنفخت فيه من روحها «نفخت من روح جمالها العظيم» فجعلته أيقونة من الجمال، جعلته يتمتع بتلك العبقريّة الأنثويّة التي تتجلّى بأبهى صورها التي تختصر الكثير من جماليّة الأشياء، وتجعلها مصاغة «بأقلام أنثويّة» قد تترك بصمتها الفريدة في عوالم الأدب فنراها الشاعرة بنت الأرض تصيغ قوافي عشقها للوجود وتُلوّن فزحيته بسمو حروفها الشغوفة، ونراها تلك «الروائية» التي تستحضر وتكتب أروع المآثر الخالدة إلى حلبة فروسيتها ودوحها الأدبي.

وهذا ما يجعلنا نستقرئ «علاقة المرأة بالأدب» وكيف منحته الكثير من الجمال، منحتْه الكثير من روحها، من روح الإبداع، وعملت على بلورة دساتير مصاغة بالوجد الإنساني، دساتير قد أبدعت المرأة في بلورة صورها والتوصيفات التابعة لها.

وقد نقرأ «المرأة» عبر التاريخ الأدبيّ القديم والمعاصر على حد سواء ونراها قد تركت بصمات خالدة ليس في عوالم الأدب فحسب، وإنما نرى حضورها المميز يبرز على كلّ الجبهات تظهر وكأنّها تختصر صوراً براقة من «صور الريادة الأنثويّة»، فنراها تختصر صور الكفاح والتميز ولا تكتفي بأن تُطل الكثير من سفنها في بحر متعدد الاتجاهات وإنما نراها تُريد الزبد والمحار في آن معاً.

فنرى الكثير من الحضور الأنثويّ الطاغي، الحضور الذي يزدهي بحضور المرأة وأرشفة تاريخها النضالي من خلال «عروة القلم ومحبرة السلاح» محبرة الشيء المقدّس الذي كتبت من خلاله، فكان الأدب هو ذاك الجمال الحقيقي الذي أطلقت شعلته «عشتار» وأطلقت الكثير من سفنها في بحر الأدب وكان لها الكثير من ذلك الإرتجاء المنتظر، فنرى محبرتها وقد أبدعت في تصوير «الشيء والشجن الإنساني».

وقد نرى المرأة كيف تنثر قمحها العطاء في حقول الأدب؟

وكيف تزرع أنجمها المضاءة في دوحه الأهم؟

وكيف تقرن كلمتها بكلمة الأب وتُضيف إلى عوالمه الكثير والكثير، وتُضيف ذاك الشيء الجمالي بما تكتب وتنجز وبما يجعلها تُضيف «نور» المضاف وجماله الحقيقي إلى حيث يجب أن يكون الأدب وبعض مجلداته التي تروي لنا قصة المرأة مع الأدب وكيف أصبحت العلاقة بينهما هي علاقة الجمال مع من يبتدع الجمال حقاً؟

وهكذا نرى المرأة وقد نجحت في تجسيد «صورة عشتار الجمال» وتُودع كل ما لديها في نحت هذه الصورة وجعلها أكثر عظمة، كما كانت وستبقى على مرّ التاريخ والزمان.

في اليوم العالمي للمرأة
عربيات.. خلّدن أسماءهن أدبياً

سارة سلامة

يعتبر الأدب النسائي عربياً ظاهرة حديثة، على غرار الحال غربياً أيضاً، وظهر خصوصاً خلال القرن العشرين، ويعد من بين المصطلحات الإشكالية المثيرة للجدل، وبالرغم من ذلك استطاعت العديد من الكاتبات أن يصنعن أسماءهن في الوسط الأدبي، وأن يتصدرن قوائم الأدبيات الأكثر تأثيراً، وفي العصر الحديث كان هناك العديد من النساء اللواتي صنعن أسماء كبيرة وبارزة في عالم الثقافة والأدب.

وفي مثل هذا اليوم ٨ آذار يحتفل العالم باليوم العالمي للمرأة، وهو مظهر احتفالي سنوي يقام للدلالة على الاحترام العام وتقدير وحب المرأة لإنجازاتها الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، وهو مناسبة للاحتفال بأعمال النساء وشجاعتهن وثباتهن في أداء أدوار استثنائية في تاريخ بلداننهن ومجتمعاتهن.. ومن السيدات اللواتي استطعن أن يصنعن أسماء كبيرة في عالم الثقافة:

مي زيادة

رائدة من رائدات الأدب العربي، وصاحبة واحد من أشهر الصالونات الثقافية في مطلع القرن الماضي، واستطاعت عبر مسيرتها أن تقدم للمرأة صورة جديدة تتقاطع مع عنوان أحد أشهر كتبها وهو «بين الجزر والمد»، وكذلك كانت حياتها.

مي زيادة (١٨٨٦–١٩٤١) أديبة وكاتبة عربية ولدت في الناصرة عام ١٨٨٦، اسمها الأصلي كان ماري إلياس زيادة، أبدعت مي في مجال الصحافة، وكانت تنشر مقالاتها في الصحافة المصرية، وكان لها دور في الدفاع عن حقوق المرأة، والمطالبة بالمساواة كما أنها استحقت أن تكون رائدة من رائدات النهضة النسائية العربية الحديثة.

كان لمي دَور في الدِّفاع عَن حُقوق المَرأة، وبمُطالبة المُساواة كما أنها استَحقّت أن تَكون رائدة من رائدات النَّهضة النِّسائية العَربيّة الحديثة، حيثُ كانَت مُطّلعة عَلى تاريخ المرأة في الفترة التي سَبقت سَجنها فَأكثرت من الكتابة والمُحاضرات والنّدوات؛ لِمُطالبة بِحقوق المَرأة.

كما طالَبت بإنصاف المرأة وبأن تُتحرر عَلى ألا تخرُجَ من قُيود المَعقول والمَقبول، رفُضت أن تُعيش المرأة أشد أنواع الاستِغلال، فَقد أفقدها ذلك مُكوناتِها الشَّخصية، كما كَتبت عَن تَعليم المَرأة فقالت:

النُّور النُّور، نُريد النُّور دومًا وفي كُلّ مَكان، نُريدُ أن يَفهم الرَّجل كَرامة المَرأة، وأن تَفهم المَرأة كَرامة الإنسانية.

برز الدِّفاع عَن حُقوق المَرأة في كِتابها (المساواة) الصادر عام ١٩٢٣م، إلى جانبِ كُتبها عَن رائِدات التنوير من السَّيدات، فَكتبت عَن عائشة التيمورية ووردة اليَازجي، وعَن مُساواة الرَّجل والمرأة .

غادة السمان

غادة السمان (١٩٤٢) كاتبة وأديبة سورية، ولدت في دمشق لأسرة شامية، ولها صلة قربى بالشاعر السوري نزار قباني. أصدرت مجموعتها القصصية الأولى «عيناك قدري» في العام ١٩٦٢ واعتبرت يومها واحدة من الكاتبات النسويات اللواتي ظهرن في تلك الفترة، مثل كوليت خوري وليلى بعلبكي، لكن غادة استمرت واستطاعت أن تقدم أدباً مختلفاً ومتميزاً خرجت به من الإطار الضيق لمشاكل المرأة والحركات النسوية إلى آفاق اجتماعية ونفسية وإنسانية.

نازك الملائكة

نالت نازك الملائكة (بغداد ١٩٢٣– القاهرة ٢٠٠٧)، شهرة عالمية في تاريخ الأدب، وربما لا يعلم أحد أن السبب وراء تفردها، هو أن والدتها السيدة سلمى عبد الرزاق، كانت تكتب الشعر وتنشر قصائدها في المجلات والصحف العراقية باسم أدبي هو «أم نزار الملائكة».

وتعد نازك الملائكة، كما يعتقد البعض، أول من كتبت الشعر الحر في عام ١٩٤٧ ويعتبر البعض قصيدتها المسماة «الكوليرا» من أوائل الشعر الحر في الأدب العربي.

ولدت نازك الملائكة في بغداد لأسرة مثقفة، حيث ترك أبوها صادق الملائكة مؤلفات أهمها موسوعة «دائرة معارف الناس» في عشرين مجلداً. وقد اختار والدها اسم نازك تيمناً بالثائرة السورية نازك العابد، التي قادت الثوار السوريين في مواجهة جيش الاحتلال الفرنسي في العام الذي ولدت فيه الشاعرة. وجدتها (أم أمها) شاعرة هي الحاجة هداية كبة ابنة العلامة والشاعر الحاج محمد حسن كبة.

من مجموعاتها الشعرية: «عاشقة الليل ١٩٤٧، نشر في بغداد، وهو أول أعمالها التي تم نشرها، شظايا ورماد ١٩٤٩، قرارة الموجة ١٩٥٧، شجرة القمر ١٩٦٨، ويغير ألواله البحر ١٩٧٧.

نوال السعداوي

طبيبة وكاتبة وروائية مصرية مدافعة عن حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص، كتبت العديد من الكتب عن المرأة، واشتهرت بمحاربتها لظاهرة الختان، وهي إحدى الشخصيات الأكثر إثارة للجدل، وكتبت نوال السعداوي أكثر من خمسين عملا متنوعا بين الرواية والقصة والمسرحية والسيرة الذاتية.

بدأت نوال الكتابة مبكرا، فكان أول أعمالها عبارة عن قصص قصيرة بعنوان «تعلمت الحب» (١٩٥٧) وأول رواياتها «مذكرات طبيبة» (١٩٥٨). ويُعد كتاب «مذكراتي في سجن النساء» (١٩٨٢) من أشهر أعمالها. كما صدر لها أربعون كتابا أعيد نشرها وترجمة كتاباتها لأكثر من ٢٠ لغة وتدور الفكرة الأساسية لكتابات نوال السعداوي حول الربط بين تحرير المرأة والإنسان من ناحية وتحرير الوطن من ناحية أخرى في نواحي ثقافية واجتماعية وسياسية.

> في ظروف صعبة للغاية أثبتت المرأة العربية قدرتها الأدبية العالية التي جعلتها في مكانة سامية

في عام ١٩٧٢، نشرت أول أعمالها غير القصصية بعنوان المرأة والجنس مثيرة بذلك عداء كل السلطات السياسية والدينية. هذا الكتاب كان من أسباب فصلها من وزارة الصحة.

أسست جمعية تضامن المرأة العربية عام ١٩٨٢، كما ساعدت في تأسيس المؤسسة العربية لحقوق الإنسان، استطاعت نوال أن تنال ثلاث درجات فخرية من ثلاث قارات، ففي عام ٢٠٠٤ حصلت على جائزة الشمال والجنوب من مجلس أوروبا. وفي عام ٢٠٠٥ فازت بجائزة إينانا الدولية من بلجيكا، وفي عام ٢٠١٢ فازت بجائزة شون ماكبرايد للسلام من المكتب الدولي للسلام في سويسرا.

آسيا جبار

واحدة من أشهر روائيات الجزائر ومن أشهر الروائيات في شمال إفريقيا، وكانت أول سيدة عربية تحصل على عضوية أكاديمية اللغة الفرنسية، وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية، وبفضل كتاباتها التي لامست قلوب الكثير رشحت لنيل جائزة نوبل في الآداب عام ٢٠٠٩، هي الأديبة الجزائرية الكبيرة آسيا جبار، أو فاطمة الزهراء.

ولدت آسيا جبار عام ١٩٣٦ وأمضت سنوات مراهقتها في ذروة أحداث حرب الاستقلال الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، وهي كاتبة مقالات وروائية وأكاديمية، عرفت في جميع أنحاء العالم بسبب آرائها الأنثوية والمناهضة للاستعمار في المجتمع الجزائري، ومن أهم أعمالها روايتها الأولى «العطش» المنشورة عام ١٩٥٧.

رضوى عاشور

واحدة من أبرز الكاتبات المصريات في العقود الأخيرة في الرواية والنقد، وتراوحت أعمالها النقدية، المنشورة بالعربية والإنجليزية، بين الإنتاج النظري والأعمال المرتبطة بتجارب أدبية معينة، وتمت ترجمة بعض أعمالها الإبداعية إلى الإنجليزية والإسبانية والإيطالية والإندونيسية.

ورضوى عاشور (٢٦ أيار ١٩٤٦ – ٣٠ تشرين الثاني ٢٠١٤) قاصة وروائية وناقدة أدبية وأستاذة جامعية مصرية، تقاطعت أعمالها باستمرار مع تاريخ بلدها وانعكست بشغف تجاهه، ومن أشهر أعمالها «غرناطة» وهي ثلاثية عادت فيها إلى فترة التعايش العربي الإسباني في الأندلس.

أحلام مستغانمي

كاتبة وروائية جزائرية، من مواليد عام ١٩٥٣، تعد واحدة من أشهر الكاتبات العربيات وأكثرهن جماهيرية بين مختلف الفئات العمرية.

صنفت روايتها «ذاكرة الجسد» الصادرة عام ١٩٩٣، ضمن أفضل مائة رواية عربية، كما فازت بجائزة نجيب محفوظ للأدب عام ١٩٩٨، وميدالية الرواد اللبنانيين تكريمًا لها على مجمل أعمالها، وميدالية الشرف التي قلدها إياها الرئيس الجزائري بو تفليقة عام ٢٠٠٦، بالإضافة إلى ذلك، منحها مركز دراسات المرأة العربية في باريس ودبي لقب أكثر النساء العرب تميزًا لعام ٢٠٠٦..

نماذج متباينة للمرأة في الدراما

البطولة النسائية اكتسحت المسلسلات.. لكنها تجاهلت إنجازات المرأة السورية على الصعد كافة

من مسلسل «بنات العيلة»

من مسلسل «طوق البنات»

وائل العدس

يحتفل العالم أجمع اليوم بعيد المرأة العالمي، وهو احتفال سنوي في الثامن من آذار من كل عام، ويرتكز على احترام وتقدير وحب المرأة لإنجازاتها المتعددة.

وعادةً ما تقترن حرية الإبداع بالمسؤولية، وغالباً ما تمنع الأعمال الفنية من العرض في دول العالم إذا تعارضت مع قيم ومبادئ المجتمع، لأنها تصبح بلا قيمة حينذاك.

ولأن الدراما تلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية السورية، وقادرة على التأثير في فكر وثقافة الناس، وأن تهبط أو ترتقي بمستواها الفكري، فكيف لها أن تقدم نماذج سلبية مشوهة عن المرأة السورية؟.

وإذا افترضنا جدلاً أن الدراما وحدة تعارف بين الشعوب، فإن بعض ما يعرض على الشاشات لا يليق بنسائنا السوريات، وينقل صورة غير حقيقية للعالم الخارجي.

صورة المرأة في الدراما تعكس تناقض المجتمع، فهي دائماً تتحايل بوساطة أنوثتها وجمالها للحصول على حقها في الحياة وقد تفشل رغم ما تقدمه من تنازلات، فلا هي احترمت نفسها وقامت بدورها خلف الرجل وليس أمامه، ولا هي استطاعت أن تحقق ذاتها وتكون امرأة مستقلة قوية.

إذاً.. هي متسلطة أو مقهورة.. خائنة ومادية وسطحية وشريرة ومحطمة.. هذه بعض نماذج المرأة في دراما المحلية.

الدراما قدمت نماذج نسائية متباينة بين المرأة المطلقة والمعيلة والأنانية والمسيطرة والقيادية وربة المنزل والمرشدة والعانس والطباخة والمريضة والمقهورة والخادمة والطالبة والمراهقة والبتيمة والعاملة والشابة والطموحة والغنية والفقيرة.. إلخ.

الدراما النسائية

موسماً بعد آخر، تتزايد المسلسلات المعنية بالمرأة في الدراما السورية بشكل كبير وملحوظ فيما بات يسمى «الدراما النسائية».

سابقاً، حصدت عدة أعمال تنتمي إلى هذا النوع نجاحات باهرة، منها «أشواك ناعمة» عام ٢٠٠٥، و«بنات العيلة» عام ٢٠١٢، إضافة إلى «جلسات نسائية» ٢٠١١ و«ورود في تربة مالحة» ٢٠٠٢ و«ندى الأيام» ٢٠٠٦ و«صبايا» ٢٠٠٩ و«وحدن» ٢٠١٨.

وكل هذه الأعمال طرحت مشاكل المرأة بشكل سلس وبسيط وإن اعتمد بعضها أحياناً على البهرجة في حدها المقبول.

أما مسلسل «خواتم» عام ٢٠١٤ أظهر النساء بشكل آخر حيث يحكي العمل قصة مجموعة من الفتيات المعنّفات اللواتي تتيناهن إحدى الجمعيات وتعتني بهن لكي تخدم كل منهن هذه الجمعية بمهنتها، خاصة أن الجمعية تخفي شبكة سرية وتأمرهن بأفعال مشينة، فنرى مثلاً فتاة موظفة في بنك وتهرب الأموال وتسرقها، وأخرى قاتلة مأجورة، وواحدة فتاة ليل، أو مشردة أو «مقطوعة من شجرة»..

أما «صرخة روح» الذي ساهم في تأليفه وإخراجه أكثر من كاتب ومخرج والذي أنتج منه خمسة أجزاء، فيدور في أفق واحد هو الخيانات والعلاقات المحرمة مع الاعتماد على محاكاة الغرائز وإقحام الحوارات اللامعة والمثيرة.

صور سلبية

من الملاحظ أن صناع الدراما– ربما بمعزل عن منطلقاتهم الفكرية– باتوا يمنحون المرأة مساحة أوسع، لتكتسح البطولة النسائية أعمالهم ولو كان ذلك على حساب الموقع الفعلي للمرأة في سياق النص الدرامي.

لكن في الوقت نفسه حاولوا فرض صور سلبية عن المرأة السورية وتعميمها على أنها الصورة السائدة في المجتمع التي لا تعبر بأي شكل من الأشكال عن مجتمعنا الذي مازالت تحكمه عاداته وتقاليده المحافظة، فظهرت المرأة في الدراما المعاصرة وكأنها محاصرة في أدوار الزوجة الخائنة أو فتاة الليل، فقُدمت بصورة مخزية لا تليق بالمرأة السورية بعدما باتت تركز على مشاهد خادشة للحياء وتميل إلى الاتجاهات الجنسية، فضلاً عن الاهتمام بعرض المرأة من خلال المداخل المادية والجسدية فقط، واستخدامها مادة لإثارة الغرائز والفتن.

وكان من المفترض تجنب الدخول بمتاهات كنا بغنى عنها لعدة أسباب، أهمها انخراط عدد كبير من المتلقات في العملية الدرامية تأليفاً وتمثيلاً وإخراجاً، ما يعني أن المرأة ترسم صورتها بنفسها وتطرح قضاياها وتدافع عنها!

خلال السنوات القليلة الماضية، لم تتعرض الدراما للقضايا والمشاكل الحقيقية للمرأة، بل رسخت حالة من الرفض لنموذج المرأة الطبيعية مغيبة بذلك العناصر التي تعلي من قيمة المرأة وأهميتها في المجتمع، فالعمل الدرامي يجب أن يقدم صورة صادقة عن المرأة في المجتمع، وأن يناقش همومها ومطالبها ومعاناتها من دون حصرها في نماذج نمطية.

خلال السنوات الأخيرة تجاهلت الدراما إنجازات المرأة السورية على الصعد كافة، وباتت تركز فقط على السلبيات وتحاول تعميمها.

التجاهل بات واضحاً للمرأة الأم التي تتعب وتسهر على راحة بيتها وأولادها، والمرأة الطبيبة التي تسهر وتكد وتتعب من أجل مرضاها.

ويرجع ذلك ربما لاستسهال بعض الكتّاب في طرحهم للموضوعات لأن السلبيات تنتشر بسهولة، على حين تفشل النماذج الإيجابية بفعل ذلك على اعتبار أن النفس البشرية تتطلع دوماً لما هو غريب وغير مألوف.

البيئة الشامية

معظم أعمال البيئة الشامية تسوق للمرأة على أنها تابعة للرجل وبلا قيمة وهي عادة مختصة بأعمال المنزل فقط ويستطيع الرجل في أي وقت أن يطلقها ويتزوج غيرها.

بل صورت المرأة على أنها عبدة للرجل، وهذا الذي لم يكن موجوداً قديماً بل كانت تناقش وتعقد أحياناً ندوات فكرية وكان لها دور مؤثر وفعال في تربية الأجيال.

وكثيرة هي المسلسلات التي ركزت على صورة المرأة الضعيفة والمستسلمة والمطواع.

في الوقت نفسه حققت بعض أعمال البيئة الشامية على عكس المتوقع انعطافاً مهماً من خلال إعطاء المرأة أدواراً أكثر نفتحاً وعطاءً، لنرى المرأة العاملة والمقاومة والمساندة لزوجها، وإن انحصرت في بعض الأماكن في الإرادة الذكورية التي تعتبر المرأة جزءاً من ممتلكاتها الخاصة وفي إبقائها مرتهنة تحت سلطته، ما جعل العرب يعتقدون أن المرأة الشامية مغلوبة على أمرها ومهضوم حقها وأن زوجها هو السيد المطاع.

حاولت بعض الأعمال إنصاف المرأة، بمحنها أهمية الرجل نفسها بل تفوقت عليه في العطاء والحب، كما توازيه في الحكمة والعقل، فكانت في «بواب الريح» ٢٠١٤ المثقفة والمقاومة للاحتلال، والممرضة في «الغربال» ٢٠١٤، والمرأة المتعلمة والسياسية والأديبة والصحفية، والمرأة التي قادت التظاهرات ضد الاحتلال الفرنسي في «طوق البنات» (أنتج جزؤه الأول عام ٢٠١٤).

في مسلسل «حرائر» ٢٠١٦ تم تسليط الضوء على واقع النساء السوريات في تلك الحقبة الزمنية من خلال قصة امرأة مكافحة ترفض الظلم وتطالب بحقوقها التي لا يعترف بها المجتمع المحافظ ما أجبرها على خرق القوانين لتثبت ذاتها، بل صور المرأة بصورة مختلفة أعادت اعتبارها.

من مسلسل «وحدن»

من مسلسل «حرائر»